أعظم شيء في العالم
(١ كورنثوس ١٣)

تأليف: تومي ساوث

هناك أغنية إنجليزية تقول: «ما يحتاج إليه العالم الآن هو المحبة. ذلك هو الشيء الوحيد الذي يوجد منه القليل فقط». اننا نتفق مع ذلك. هناك الكثير من الجبال والوديان والحقول؛ والكثير من البيوت والسيارات والشوارع ومحلات التجارة؛ والكثير من الأثاث والأدوات المنزلية. والكثير من الإجرام والكذب والسرقة وعدم الإخلاص. ولكن توجد القليل من المحبة، أقل مما ينبغي! بالنسبة للمسيحي لا توجد ما يكفي من المحبة لأن المحبة أعظم شيء في العالم! هذا ما يوضحه بولس في الأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، أعظم أصحاح عن المحبة.

كان بولس يتحدث عن مواهب الروح القدس العجائبية في الأصحاح الثاني عشر. واختتم ذلك الأصحاح بقوله: «وأيضاً أُريكم طريقاً أفضل». ذلك الطريق الأفضل هو طريق المحبة. بما ان المواهب العجائبية كانت عظيمة بقدر ما كانت عليها، الا أن المحبة كانت الأعظم! يقول بولس بان المحبة هي الأعظم لثلاثة أسباب:

المحبة هي أعظم شيء في العالم لأن بدونها لا تكون هناك قيمة لأي شيء (١ كور١٣: ١-٣)

تصور الإنسان الذي وصفه بولس في هذه الآيات. له مواهب الروح القدس العجائبية. وله موهبة النبوءة؛ يعلم الأسرار؛ وله موهبة العلم العجائبية. وهو أيضاً إنسان له إيمان - إيماناً عظيماً، قادر على نقل الجبال. يعطي بسخاء؛ يعطي كل ما له، وأخيراً يضحي بنفسه، ويسلم جسده حتى يحترق.

تخيل وجود مثل هذا الإنسان: إنسانا فصيحا، موهوبا، ذات معرفة؛ وإنسان عظيم الإيمان؛ الذي يعطي كل شيء ومن ثم يسلم نفسه! قد نميل إلى القول: ما أروع هذا الإنسان! وما أعظم هذا المسيحي! ولكن هناك شيء آخر عن هذا الإنسان: انه لا يحب الآخرين! فماذا يقول بولس عنه؟ تكون كرازته وتعليمه عبثاً؛ ويكون «نحاساً يطن أو صنجاً يرن»، لا ينجز شياً. انه ليس شيئاً! وكل أعماله الصالحة لا تنفعه شيئاً! قد ننظر إلى مثل هذا الإنسان ونقول: «إليس هو عظيماً!»

بدون المحبة، لا توجد قيمة لأي شيء آخر تفعله. قد تكون فصيحاً، وموهوباً، وذو علم، وأميناً. ولكن بدون المحبة لا تنجز هذه المواهب شيئاً، ولا تكون شيئاً. قد تكون أيضاً محباً لعمل الخير ومضحياً بالنفس؛ قد تعطي كل شيء بما فيه نفسك، ولكن إن كنت تفعل هذا بدوافع غير صحيحة، وليس بسبب المحبة، ينظر الله اليه قائلا انه لا شئ . فآن ذلك لن ينفعك شيئاً. بدون المحبة لا توجد قيمة لأي شيء آخر. لا يمكن أن يقال هذا عن المواهب العجائبية فردية كانت أم جماعية. وأيضاً لا يمكن أن يقال هذا عن أي شيء آخر. هكذا فان المحبة هي أعظم شيء في العالم!

المحبة هي أعظم شيء في العالم لأنها تشمل على فضائل أخرى كثيرة (١ كور ١٣: ٤-٧)

نتعرف علي بضع ألاشياء عند قراءة القائمة التالية عن ميزات المحبة:

نعرف لماذا تكون المحبة أعظم من المواهب العجائبية

تشير هذه الفقرة الي سببين قد جعلا المحبة أعظم من كل المواهب العجائبية في القرن الأول الميلادي.

المحبة أعظم لانها تأتي بميزات في حياة المسيحي لا يمكن للمواهب العجائبية ان تأتي بها. قال بولس بان المحبة تتأنى وترفق، لا تحسد، لا تتفاخر ولا تنتفخ، ولا تطلب ما لنفسها، إلخ. ولكن لا يمكن أن يقال هذا عن أية موهبة عجائبية أخرى.

المحبة أعظم لسبب أخر، لأن المواهب العجائبية كانت جزءا من المشكلة التي كانت في كنيسة كورنثوس، ولكن كانت المحبة مفتاح الحل. كانت المواهب العجائبية مصدر النزاع. نعرف من الأصحاحين الثاني عشر والرابع عشر بان أهل كورنثوس كانوا يجادلون عمن يكون له أعظم موهبة. بعض الذين كانت لهم ما يعتبرونها مواهب أفضل ينظرون بازدراء إلى الذين كانت لهم مواهب أدنى درجة كما اعتبروها. وكان الذين يظنون ان لديهم مواهب أدنى درجة يشعرون بعدم اهمية. وأيضاً على الرغم من غنى كنيسة كورنثوس بالمواهب العجائبية، الا انها كانت محاطة بكل أنواع المشاكل الروحية. لم تستطع المواهب الروحية أن تحل مشاكلهم الروحية، بل المحبة!

يمكن للمحبة أن تحل مشاكلهم، على سبيل المثال، لأنه إن لم تكن للمسيحيين الذين كانوا في كورنثوس غيرة أو تكبر، لما كانت هناك أهمية في الفرق بين المواهب الروحية. وإذا كانوا غير أنانيين، لأعطوا اعتباراً لبعضهم البعض وليس لرغباتهم الشخصية فقط عندما يفكرون في أكل اللحوم التي قُدمت للأوثان. إن لم يفرحوا بالإثم بل بالحق، لَما سمحوا بالخطية في الكنيسة. وإذا كانوا طويلو الأناة ولطفاء وغير منفعلون أو مستاؤون لكانت مشكلة عدم الوحدة في الكنيسة قد حلت. أي بعبارة أخرى، تحل المحبة المشاكل التي تجعلها المواهب العجائبية أسوأ.

نعرف ما تعنيه محبة العهد الجيد

نحن نستخدم الكلمة « محبة » بطرق كثيرة: يحتمل أن نقول: « أحب زوجتي »؛ « أحب أصدقائي »؛ « أحب كلبي »؛ « أحب بلدي »؛ « أحب البقلاوة » بالمستوى نفسه. ولكننا نقصد دائماً العاطفة أو الاحساس عندما نتحدث عن المحبة.

بالمقابل، الكلمة اليونانية المستخدمة في الأصحاح ١٣ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس لتعني « محبة » هي « أغاپه شص αγαπη » وهي كلمة يونانية قد تخلو تماماً من مضمون عاطفي. الكلمة « أغاپه » لا تعني مجرد شعور أو إحساس فقط. إحدى الطرق لتوضيح تلك الحقيقة هي أن نتذكر بان الرب قد أوصانا أن نحب. والوصايا موجهة إلى الإرادة. هكذا ان المحبة المطلوبة منا ليست إحساس، بل شيء يمكن ان تكون لنا الإرادة للقيام به. إذا ما كنا نحب فهذا ليس له علاقة بالأحاسيس بل بالإرادة. إذن الكلمة أغاپه هي الإرادة الحسنة، أي عقد النية على عمل الخير للذي تحبه.

إذاً « المحبة » لا تعني فقط الإحساس نحو الآخرين؛ بل تعني القيام بعمل شيء نحو الآخرين؛ أن تقوم بعمل شيء نحو الآخرين بطريقة محبوبة. وتعني أن تكون طويل الأناة ولطيف مع الآخرين، ان لا تعمل بالأنانية، وان لا تكون متكبراً، أو عنيفاً، أو سريع الإنفعال. بهذا المفهوم يمكن أن نحب حتى الذين لا نريدهم؛ ويمكن أن نتمنى للآخرين ما هو أفضل، وأن نعاملهم بمحبة، ونتعامل مع الآخرين بطريقة صحيحة، حتى وإن لم نكن نهتم بأمورهم، أو لا نشعر بالقيام بأي شيء نحوهم.

نتعلم كيف نتصرف إن كنا نحب

إن كنا نحب، سنكون صبورين، ونستمر في محبة الآخرين. نكون لطفاء أيضاً؛ وسنقدر مشاعر الآخرين ونحاول ان نعمل ما يسهل لهم الأمور.

إن كنا نحب، لا نكون غيورين. على سبيل المثال، عندما يكون لشخص ما، ما نعتبرها

موهبة أفضل مما لنا، أو عندما يتم مدح شخص ما أو ترقيته أو مكافأته نظن باننا نستحقها. ولا نكون متكبرين بسبب مواهبنا. على سبيل المثال، لا نتكبر بأنفسنا وبعظمتنا وقدراتنا بحيث نتفاخر للآخرين. لا نكون متعظمين أو مغرورين أو منتفخين أو متكبرين؛ ولن نعتبر أنفسنا أفضل من الآخرين.

إن كنا نحب، لا نكون عنيفين؛ ولا نصر على رأينا، وفوق كل شيء، المحبة لا تطلب ما لنفسها.

إن كنا نحب، لا نتصرف بغير لياقة. عندما نحب كما ينبغي لنا، لا نبحث عن ذريعة لكي نختلف مع الآخرين. ولا نكون سريعي الانفعال لكي نضر بالآخرين دائماً. ولا نظن السوء.

إن كنا نحب، لا نفرح بالسوء. لا نفرح عندما يسود الشر، حتى ولو كان يحدث شيء رديء لأعدائنا. بل نفرح بالخير، اينما يسود الخير، أو عندما يتم عمل الصلاح، حتى ولو قام به أعدائنا، سنفرح به.

إن كنا نحب حقاً: تحتمل محبتنا كل شيء. نستمر بالمحبة بغض النظر عن المشاكل التي قد تواجهنا. محبتنا تصدق كل شيء. وترجو كل شيء. نتوقع من الآخرين الأفضل دائماً ونتطلع إلى تحسين الأمور. ومحبتنا تحتمل كل شيء. نستمر بالمحبة حتى ولو اضطهدونا أو أبغضونا.

هل تحب كما ينبغي لك؟ إن كنت تفعل كذلك، يمكن وصف سلوكك بطول الأناة، والطف، والكياسة، وعدم الأنانية، والصلاح، إلخ. طبعاً لا توجد لأي إنسان محبة كاملة. ننموا إلى مثل تلك المحبة بالعمل لنحصل على هذه الصفات. ولكن هذا ما يجب أن نكون عندما نبلغ مرحلة النضوج الروحي.

لكي نجعل هذا يترك فينا انطباعاً، اسمح لي أن أعمل شيء سمعتُ بان مبشراً آخر كان يفعله قبل حوالي ثلاثين سنة. قال ذاك المبشر بانه ما دام الكتاب المقدس يقول بان الله محبة، فيمكن أن تبدل الكلمة «محبة» بالكلمة «الله» في هذه الآيات. وبهذا يمكنك أن تقرأ هذا النص كما يلي: «الله يتأنى ويرفق. الله لا يحسد. الله لا يتفاخر ولا ينتفخ ولا يقبح؛ ...» بما ان المسيح قد أرانا الله، وبما انه عاش حياة المحبة عندما كان على هذه الأرض، فيمكنك أن تقرأ النص بابدال كلمة «المحبة» بـ «المسيح»: «المسيح يتأنى ويرفق. المسيح لا يحسد. المسيح لا يتفاخر ولا ينتفخ ولا يقبح؛ ...».

يجب على المسيحيين أن يتمثلوا بالمسيح. لهذا يمكنك أيضاً أن تقرأ هذا النص كما يلي: «المسيحي يتأنى ويرفق. المسيحي لا يحسد. المسيحي لا يتفاخر ولا ينتفخ ولا يقبح؛ لا يطلب المسيحي ما لنفسه ولا يحتد ولا يظن السوء، ولا يفرح بالإثم، بل يفرح بالحق. يحتمل المسيحي كل شيء، ويصدق كل شيء، ويرجو كل شيء ويصبر على كل شيء».

ما يعنيه ذلك هو انه يجب على كل منا أن يكون مثل ذلك. إذن لنقرأ هذا النص مرة أخرى، وهذه المرة نبدل كلمة «المسيحي» بضمير المتكلم «أنا»: «أنا طويل الأناة وأرفق. أنا لا أحسد. أنا لا أتفاخر ولا انتفخ ولا أقبح ولا أطلب ما لنفسي. ولا أحتد لا أظن السوء. ولا أفرح بالإثم، بل أفرح بالحق. وأحتمل كل شيء وأرجو كل شيء وأصبر على كل شيء». قد وجدت بان هذه خبرة وضيعة. تعوزني هذه الوصفة بكثير. ماذا عنك؟ النقطة الأساسية هي: بغض النظر عن قصورنا الآن، إلا انه ينبغي أن نسعى لنكون مثل ذلك!

المحبة أعظم شيء في العالم لأن المحبة لا تنتهي أبداً (١ كور ١٣: ٨-١٣)

«المحبة لا تسقط أبداً!» هذا من إحد الأسباب التي تجعل المحبة أعظم شيء في العالم!

هذا يقارن المحبة بالمواهب العجائبية. قد تحدث بولس عن تسع مواهب مختلفة في (١ كور ١٢: ٨-١٠). ويذكر في (١ كور ١٣: ٨) ثلاث من هذه المواهب وقال بان هذه الثلاث ستزول. إني أومن بان هذه الثلاث تمثل جميع

المواهب التسع. عندما قال بولس بان هذه الثلاث ستبطل، يقول بموجب هذا بان التسع كلها ستبطل. ستبطل نظام المواهب العجائبية كله. ولكن المحبة ستبقى!

متى تزول تلك المواهب العجائبية؟ هنا يتحدث بولس عن زمان النضوج. كانت للمواهب صلة بما هو «بعض» {أي جزئي} (١ كور ١٣: ٩) أو عدم الكمال أو النقصان. ولكن سيزول زمان النقصان عندما يأتي «الكامل» أو وقت النضوج (١ كور ١٣: ١٠). كان نظام المواهب العجائبية مثل زمن الطفولة (١ كور ١٣: ١١). ولكن عندما يأتي النضوج يجب التخلي عنه، كما يتخلى الإنسان عما يخص الطفل عندما يكبر (١ كور ١٣: ١١). نظام المواهب المعجزية مثل النظر إلى مرآة التي لا تعطيك صورة واضحة، ولكن سيكون وقت النضوج مثل رؤية صورتك بوضوح في مثل تلك المرآة (١ كور ١٣: ١٢). كان زمان عدم النضوج – عندما كانت مواهب الروح القدس المعجزية سارية المفعول – هو زمان فهم جزئي؛ وزمان النضوج يكون الفهم الكامل (١ كور ١٣: ١٢).

متى يأتي زمان النضوج ذاك؟ يظن البعض بانه سيأتي عند مجيء المسيح الثاني. يؤمنون بان الآية ١٠ «متى جاء الكامل» – تشير إلى المسيح، بانها تقول «عندما يرجع المسيح». توجد بعض المشاكل في هذا التفسير، واحد منها هي ان الكلمة لا تشير إلى مذكر ولا مؤنث في اللغة الأصلية. انها تقول حرفياً: «ولكن متى جاء ذلك الشيء الكامل ...» لا يحتمل أبداً بان بولس يشير إلى المسيح بصيغة اللا عاقل – كشيء! ومشكلة أخرى هي ان بولس كان يحاول ان يوضح في هذا النص عدم ملائمة أو قصور المواهب المعجزية. إذا كان يقول بان نظام المواهب المعجزية بكامله سيتمر حتى مجيء المسيح الثاني، يكون قد ضل عن هدفه! ماذا يهم أهل كورنثوس ما إذا كانت المواهب المعجزية تستمر إلى ما بعد المجيء الثاني أم لا. كانوا يرغبون في مثل هذه المواهب في هذه الحياة فقط. كانوا سيفرحون بان تلك المواهب تدوم إلى ذلك الزمان. اني أكيد بانه لم يكن لبولس أن يقول: «يا أغبياء، لماذا تعتمدون على تلك المواهب لأنها تدوم فقط حتى مجيء المسيح الثاني!» لهذين السببين لم يكن بولس يشير إلى عودة المسيح.

إذن إلى ماذا يشير بولس؟ إلى نضوج الكنيسة! كانت الكنيسة في طفولتها. كانت كالطفل. أحتاجت الكنيسة إلى مواهب عجائبية لكي تمر بطور الطفولة. ولكن عندما مرت من خلال ذلك الطور وقبلت وحي الله كله، لا تحتاج إلى المواهب العجائبية في ما بعد. إذن تشير العبارة «متى جاء الكامل» إلى نضوج الكنيسة.

ولكن أهم شيء يجب أن نذكره هو بينما كانت على مواهب الروح القدس المعجزية أن تزول، كان على المحبة أن تستمر حتى بعد نضوج الكنيسة!

يقارن الجزء الأخير من الرسالة إلى أهل كورنثوس أيضاً بين المحبة والإيمان والرجاء. لاحظ بان «المحبة لا تسقط أبداً»؛ وبعد ذلك قال بان المواهب العجائبية ستبطل؛ وأخيراً قال: «وأما الآن، فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة. هذه الثلاثة» قد زالت مواهب الروح القدس المعجزية، ولكن بقى أو ثبت ثلاثة أشياء، وهي: الإيمان، الرجاء، المحبة! بعد زوال تلك المواهب العجائبية، سيبقى الإيمان والرجاء والمحبة. إذن الإيمان والرجاء والمحبة كلها أسمى من مواهب الروح العجائبية.

ثم قال بولس: «ولكن أعظمهن المحبة!» لماذا تكون المحبة أعظم من الإيمان و الرجاء؟ قد تكون هناك أجوبة كثيرة. أظن بان السبب الأكثر صحة حسب مفهوم النص للقول بان المحبة أعظم من الإيمان والرجاء هو لأن المحبة ستدوم أكثر من الإيمان والرجاء.

عند رجوع المسيح، لا يكون هناك إيمان ولا رجاء في ما بعد. سنرى الذي قد آمنا به؛ وهذا يعني بانه لا يكون هناك إيمان في ما بعد، إذ ان الإيمان يشمل على «أمور لا ترى» في مقابل «العيان» (أنظر عبرانيين ١١:١؛ ٢

كور ٥: ٧). علاوة على ذلك، عندما يرجع المسيح، سيتحقق الرجاء، حالما نحصل على ما كنا نرجوه، فلا يكون هناك رجاء بعد (رومية ٨: ٢٤ و٢٥). ولكن عندما يرجع المسيح لا تكون هناك نهاية للمحبة. سنستمر في محبة ربنا والله والقديسين، ويحبنا الله والآخرون أيضاً. ستبقى المحبة قيمة حينذاك وإلى الأبد كما هي اليوم. بينما ينتهي الإيمان والرجاء عند رجوع المسيح، ستستمر المحبة. إذن على الرغم من عظمة الإيمان والرجاء فالمحبة هي الأعظم .

الخلاصة

ما أراد بولس أن يخبرنا به في الأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هو ان المحبة أعظم شيء في العالم. يبقى السؤال: هل المحبة أعظم شيءلدينا؟

هل المحبة أعظم شيء للكنيسة؟ هل تضع الكنيسة ما يكفي من التشديد على المحبة؟ أم نميل إلى اهمال الموضوع، ما دمنا نظن بان آخرون يكرزون بها كثيراً؟ إن لم نكن قد أهملناها في الكرازة، فهل أهملنا ممارستها؟ هل نحن معروفين كشركة محبة واعتناء، نهتم ببعضنا البعض وبالآخرين؟ علينا أن نكون كذلك.

هل المحبة أعظم شيء في حياتنا الخاصة؟ قد يكرس الناس أنفسهم إلى الحق، ويعرفون الكتاب المقدس، وقادرين على دحض ادعا»ات غير المؤمنين؛ ولكن بدون محبة. نحتاج إلى المسيحيين الأقوياء في التعليم، أبطال الحق، وأبطال الإيمان والطهارة، ولكننا نحتاج أيضاً إلى المسيحيين العظماء في المحبة! هل يوجد بيننا مثل هؤلاء المسيحيين؟ والأكثر أهمية هو: هل وضعت في قائمة أولوياتك الهدف لأن تكون شخصاً يحب كما يصفه الأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس؟

الوصية الأولى هي أن تحب الله. وإن كنت تحبه، تحفظ وصاياه.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧